فما الذى نقوله عن مواطنيها أنفسهم الذين تخلوا عنها وباعوها ثم قعدوا ساكنين لا يتحركون يشاهدون أدق فصل من فصول مآسى التاريخ كما يشاهد المتفرج قصة بسيطة على مسرح التمثيل ؟

وكان لا بد من محاكمة جان دارك بتهم وضعوها لها وأحاط بها القضاة كما تحيط الذئاب الكاسرة بالحمل الوديع مصممة على الفتك به. هددوها بالتعذيب وأمطروها وابلا من الأسئلة ولكنها رغم كل ذلك بقيت على انكارها للتهم التى كيلت لها .

وفى النهاية أخبروها انها لو وقعت على ورقة تقر فيها انها مذنبة قاتلة فانهم لا يحكمون عليها بالقتل، فأجابتهم متحدية انها لا تخضع لأمرهم ولو رأت النيران مهيأة لها — وأخيراً بعد ان ذاقت جان مر العذاب أخذت المسكينة تستعطف قضاتها معلنة اليهم انها امرأة ضعيفة كسر قلبها طول العذاب والتهديد بالنيران . ولم يجد استعطافها شيئاً أكثر من زيادة التعذيب فخضعت لهم بدافع حب الحياه وتأثرت بصياح الشعب فيها (هل تودين الموت ياجان ؟ ألا تنجين نفسك ؟) .

ووقف كوشون وفى يده ورقتان مخطوط عليهما جملتان أحداهما السجن المؤبد إذا خضعت لما طلب اليها؛ والثانية احراقها لو ظلت على انكارها. فلما قدمها اليها للتوقيع على إحداهما وقعت على الأولى وخط كاتب الجلسة وهو جيلبرت مانشون على هامش الورقة هذه الكلمات (وفى آخر الحكم قالت جان تحت تأثير الخوف من الاحراق بأن عليها اطاعة أوامر الكنيسة) .

حملوا على مبتغاهم فأرسلوها موثقة إلى سجنها . فلما رأت نفسها وحيدة عاودتها شجاعتها فأعلنت أنها لم ترتكب أى جرم وإن كل ما قالته كان خوفا من النيران؛ إلا أن صراخها ذهب هباء وتقرر احراق العذراء البريئة التى كانوا يخشونها فى قلوبهم .

وتبع الجنود الانجليز العربة التى حملتها إلى السوق القديمة فى روان حيث أعدت لها النيران ، وصفت الكراسى على الأفريز جلس عليها الأساقفة لمشاهدة حفلة أحراقها وخطت هى اليهم طالبة صليبا إلا أن أحداً منهم لم يجرؤ على إعطائها إياه .

وأوقدت النار ، وتطلعت جان لآخر مرة إلى العالم الذى ملأته نصراً وإعجابا فظهرت وعليها مسحة نبيلة هى قوة مقدسة من وراء العالم وتخيلت انها تسمع الأصوات التى اعتادت سماعها تكلمها من قلب النيران وصاحت (قد كنت أظنني مخدوعة)

الشعر المصرى فى مائة عام

الأستاذ سيد كيلانى

الدور الأول

١٨٥٠ — ١٨٨٢

٣ — أساليبه والفاظه

كانت أساليب الشعر فى هذا الدور ضعيفة ركيكة مبتذلة ، وتراكيبه سقيمة تكاد تكون عامية . وذلك نتيجة لانحطاط الشعر فى الأجيال السابقة ، وبعد الشعراء عن دراسة آثار الفحول الذين ظهروا فى عصور الرقى وعهود الازدهار . ومن أمثلة هذا الضعف قول صالح مجدى :

واختص كلا بقانون فترجمه بسرعة وبيان واضح الكلم

فقوله « بسرعة » مما يجرى على ألسنة العامة .

وقول عبد الله فكرى :

وفى علم مولاى الكريم خلائقى قديما وحسبى شاهدا مخلصا برا

فعبارة « وفى علم » سوقية محضة .

وقال الليثى :

فإن مصابا حل قد حل وانقضى ونحن بما يأتى نسام ونشغل

فصدر هذا البيت مما تنطق به الدهماء .

وقول أبى النصر :

ومنى عليكم كل يوم تحية وسائر أحبابى الكرام ذوى المجد

كذا جملة الاخوان شرقا ومغربا متى سألوا عنى ولو أخلفوا وعدى

وهذه هى آخر جملة فاهت بها — وجمع أسقف وبنشستر رفات جسدها المحروق ونثره فى نهر السين وحلقت روحها العظيمة فطمست عار الذين حولها وقسوتهم . وترى اليوم تمثال جان دارك الذهبى مهاجما لأسقفية وبنشستر فى كتدرائيتها وستظل إلى الأبد رمز المثابرة والوفاء والشجاعة النادرة وطهارة القلب — وإذا كانت قلوبنا تتفطر حسرة على نهاية هذه البطلة المحزنة إلا أن هذه النهاية تنوح من غير شك قصتها العجيبة .

عبد الرحمن فهمى

وهذا من كلام الأميين . والأمثلة على ذلك كثيرة يتبينها كل من رجع إلى دواوين هؤلاء الشعراء .

* * *

وترى كثيراً من تراكيب شعراء ذلك الدور مضطربة ، حتى أنك تجد مشقة فى قراءتها . ومثال ذلك قول عبد الله فكرى :

كتابى توجه وجهة الساحة الكبرى .
وكبر إذا وافيت واجتنب الكبرا

فالاضطراب ظاهر فى قوله « توجه وجهة » وفى قوله « الكبرى . وكبر . والكبرا » ولا شك فى أن الإنسان يتعثر فى تلاوة هذا البيت ويمل من ترديد الكلمات المتشابهة فى اللفظ .

وقول صالح مجدى :

سمت روضة الأنس الجمالية التى
بها الصدر اسماعيل ذو الدولة اعتنى

والاضطراب فى البيت كله ظاهر لايحتاج إلى بيان .

وقول أبو النصر :

هو الشهم اسماعيل إن رمت وصفه
تجده بجيد المجد واسطة العقد

فعبارة « تجده بجيد المجد » ينفر منها الذوق وهى من أثقل التراكيب على اللسان .

وقوله :

نرجوه إنجاز اصلاح الشؤون عسى
يصفو به الملك دانيه وشاسعه

والضعف فى صدر البيت أظهر من أن يدل عليه .

وقول محمد سعيد :

وأقبل عيد العود بعد انتظاره يمن له العلياء بالأنس تفتر

* * *

وقد اشترك شعراء هذا الدور فى استخدام كلمات معينة . ومثال ذلك كلمة « شهم » التى وردت فى معظم قصائد المدح . قال رفاعة :

فى كفه سيفان سيف عناية والشهم ابراهيم سيف ثانى

وقال ابراهيم مرزوق :

ويبيد العدى بسطوة شهم لايباريه هاصر فى جلاد

وقال أبو النصر :

هو الشهم اسماعيل إن رمت وصفه
تجده بجيد المجد واسطة العقد

وقال على فهمى :

والخديو المليك أول شهم يخطبا حاضر الخاطر أنذر

وهكذا لم يجد الشعراء أمامهم غير هذه الكلمة مع أن اللغة العربية غنية بالمترادفات .

واشترك معظمهم فى استخدام تعابير خاصة ، مثل « وكيف لا » قال الليثى :

وكيف لا وخديو مصر ألبسها
ثوبا من الطول مأمونا من القصر

وقال :

وكيف لا والخديو فيك قد سطعت
أنوار آلائه الغر الجسيمات

وقال على فهمى :

وكيف لا تتحلى بالمدامع أفـ واه روت عنه أيام الحياة حلى

وقال محمد سعيد :

وكيف لا وهو لما أن تداركها بالعدل لاشك صار الآن محييها

وقال صالح مجدى :

وكيف لا ومقالاتى أدلتها غنية فيك عن نص بتصديق

وعبارة « وكيف لا » كانت تستخدم بكثرة فى النثر فى ذلك الدور فانتقلت منه إلى الشعر وجرت على ألسنة الشعراء على نحو مابينا . وغنى عن البيان أن نقول إنها ليست من التعابير الشعرية .

* * *

وكانوا يكررون عبارة معينة فى جملة أبيات . ومثال ذلك قول محمد النجار :

واليوم ترفل فى ملابسها التى حسنت ويبسم ثغرها المتضوع

ثم كرر قوله « واليوم » فى سبعة أبيات :

وقال أحمد عبد الغنى :

ولا وقت الجلوس على القهاوى ولا وقت التغافل والتغابى

ثم ردد عبارة « ولا وقت » فى سبعة أبيات

وقال سليم رحمى :

حيث البرنسات والنظار قد شرفت
أقدارها بمقام منه محـــود

ثم أتى بكلمة « حيث » فى خمسة أبيات

وقال ابراهيم مرزوق :

أبى أما الصبر عنك فما أمر لكن رضيت بما به المولى أمر

ثم ذكر عبارة « أبى » فى خمسة أبيات

وهذا النوع من التكرار مقصود . وقد أتى الشاعر به طوعا واختياراً لأمر فى نفسه . ولكن هناك نوع آخر من التكرار قد اضطر إليه شعراء هذا الدور اضطراراً ، وأرغموا على الوقوع فيه ، وذلك لإفلاسهم وخلو جعبتهم من المادة اللغوية . ومثال ذلك قول عبد الله فكرى :

مشير صدق بحزم الرأى قد عرفت
أفكاره بين باديها وخافيها
لاتنثنى عن صواب الرأى رغبته لرهبة كائناً ما كان داعيها

فذكر فى البيت الأول « حزم الرأى » وفى البيت الثانى « صواب الرأى » فالظاهر أن الرجل لم يجد أمامه فى هذا المقام غير كلمة «رأى» . وقد جاء بهذه الكلمة فى مطلع القصيدة فقال :

رأى الخليفة فيه رأى حكمته والملوك صواب فى مراميها
رآه أجدر أن يرعى رعيته وأن يقوم بما يرجوه راجيها

فهو بهذا قد استخدم كلمة واحدة فى ثلاثة أبيات . وفضلا عن ذلك فانه أتى بالفعل « رأى » وهو مشتق من الرأى وذكر كلمة «مراميها» وهى من نفس المادة . وكل هذا فى قصيدة عدتها ثلاثة عشر بيتاً .

وقال أبو النصر :

فهو المليك الذى عمت مآثره وفائض الجود من جدواه إمداد
المفرد العلم الأسمى علا شرفاً وفاض بحر افكم ترجوه وراد
كالليث جاد بما يغنى الأنام بلا من ، فجدواه انجاز وإيجاد

فاستخدم كلمتى «فائض» و «فاض» وهما من مادة واحدة . وكرر كلمة « جدوى » وأتى بالفعل « جاد » وهو من كلمة « الجود » المذكورة فى البيت الأول وهذا ضعف لغوى لايحتاج إلى بيان .

واستخدم بعضهم كثيراً من الكلمات الفرنسية والتركية . ومثال ذلك قول صالح مجدى :

وعند صياح الديك قام مودعاً فقمنا وودعنا وقلنا له « مرسى »

وقوله فى وصف إحدى الفلاع :

فكم بسنيون(١) ثابت الأصل محكم
يلوح بهاتيك الحصون المهمة

وقوله :

منه طوبجية(٢) ثبيت الأعادى من تعدى نيرانها فى عديد
و كبورچيه(٣) لها كل فخر فى جميع البقاع بين الجنود

وقوله :

والدودكجى(٤) مع الترنبيت ناغا
البروجى وزال عنا صدود
وبعذب الألحان غنى المويسيـ قى فتاقت إلى غناه الكبود
وبذكر السعيد دندن فاشتا ق إلى مدحه البليغ المجيد

وأجابت « بجوق(٥) يشا » فى دعاها :

للخديو رعـــية وجنود

وقوله :

وإذا الأوجيان(٦) حلوا بأرض
لعدو ضاقت عليه الحدود

وقوله :

والدراغون(٧) فى الميادين تزهو كزهور الرياض وهى أسود

واستخدموا كلمة « تياتر » الفرنسية فقال سلامة النجارى:

« تياترها » يبدى تواريخ من مضى
بحسن بيان لا يرام مناله

وأوردوا فى شعرهم كلمة « بال » رمضاها الرقص . وبدلا من أن يقولوا « مرقص » قالوا « ملعب بال » .

قال رفاعة الطهطاوى :

---

(١) كلمة فرنسية معناها : مدفع
(٢) كلمة تركية معناها : المدفعية
(٣) « « « : مهندسو الكبارى
(٤) الدودكى ، والبروجى اسمان تركيان لرجال الموسيقى . والترنبيت اسم فرنسى لبعض آلات الموسيقى .
(٥) عبارة تركية بمعنى يعيش كثيراً
(٦) كلمة تركية بمعنى : الفرسان
(٧) كلمة فرنسية بمعنى : الفرسان

وملعب «بال» بالحسان متمم عيون غوانيه تغازل بالفتك

واستخدم رفاعة كلمة «سنيور» بدلا من السيد وذلك فى قوله :

وكم من فتاة فيه سكرى بلا طلا

يراقصها «السنيور» لطفامع السبك

واستخدموا كلمة «فابريقة» وفوريقة . وأطلقوا على السفن البخارية اسم «وابور البحر» وعلى القطار اسم «وابور البر» واستعملوا «بريد كهربائى» للتلغراف . قال رفاعة .

وبريد كهربائى وحيه لمحة أعين

وأطلقوا على آلة تنقية المياه ورفعها إلى المنازل اسم «وابور المياه» قال رفاعة :

ووابورات ميـــاه كجبال النار تدخن

وأرادوا أن يضعوا إسما يدل على توصيل المياه إلى المنازل . فاهتدى صالح مجدى إلى كلمة «تقاسيم» قال :

وأما تقاسيم المياه فنفعها عميم ومنها للعباد مراحم

وقد تخلص الليثى من هذا المأزق بقوله بعد أن ذكر بعض مظاهر الحضارة :

وسائل النيل يجرى فى شوارعها

له على كل باب أم تذليل

فاستخدم عبارة «سائل النيل» وبهذا حل الإشكال . وأطلقوا على القضبان التى يسير عليها القطار اسم «أخاديد الحديد» و «طرق الحديد» قال صالح مجدى :

وقال :

أما أخاديد الحديد فإنها قد انتشرت للقطر فيها مغانم

وبصنعها سكك الحديد مديدها أضحى لوافر نفعها ما أقصره

وقال على فهمى رفاعة :

علمت بذا طرق الحديد فأطرق الـ

ـوابور رأسا جد فى ارتياده

وقال أبو النصر :

وأمد بالطرق الحديد صعيده والسلك فى أخباره كل المنى

وأراد بالسلك «التلغراف» .

ويلاحظ أن كثيراً من هذه الكلمات كان يستخدم فى النثر

ولم يجد الشعراء بدأ من استخدامها فى الشعر بيد أن بعضهم رأى أنها تفسد النظم فتصعب ضدها ولم يذكر منها شيئاً فى قصائده . ومن هؤلاء الساعاتى . وكان صالح مجدى وسلامة النجارى أكثر الشعراء إيرادا لمثل هذه الكلمات .

* * *

وكان من شعراء هذا الدور من يستخدم بعض الكلمات العامية . ومثال ذلك قول أحمد عبد الغنى :

ولاوقت الجلوس على القهاوى ولا وقت التغافل والتنابى

والصواب أن يقول «القاهى» .

* * *

وقد حافظوا على ما ورثوه من الأجيال المتقدمة من الحرص على الصناعة اللفظية واستخدام البديع بأنواعه المختلفة ولا سيما الجناس والطباق ، وقد شاعت فى هذا الدور التورية باسم الخديو «توفيق» ومثال ذلك قول الساعاتى :

بلغت «بتوفيق» العزيز مآربى فبالغت فى حسن الثناء تشكرا

وقول عبد الله فكرى يمدح اسماعيل ويشير إلى قانون الوراثة :

نهضت «بتوفيق» العلى ولم يزل بعينك عون الله فى حيثما تسرى

وقوله :

أمر أمير المؤمنين أعاره نظراً وأنظار الكبار كبار

فسرى به فى مصر من «توفيقه»

نور ومن بركاته أسرار

هذا ما يمكن أن يقال عن أساليب الشعر وألفاظه فى ذلك الدور .

(يتبع) محمد سيد كيلانى

مجلس مديرية المنوفية

يقبل عطاءات لغاية الساعة ١٢ ظهر يوم الثلاثاء ٢٤ يناير سنه ١٩٥٠ عن توريد كتب وأدوات مدرسية . وتطلب القوائم على عرضحال دمغه مقابل مائة مليم بخلاف ثلاثين مليما للبريد .

٣٨٧٩